

فنجوم القرآن نجوم هداية للجنة والناس، ورجوم على النسناس^(١).

وهل يقسم بنجوم القرآن لإثبات كرم القرآن؟ قد يجوز وهو أحرى! فإنه من برهنة الشيء على نفسه، فكما الشمس تدل على نفسها، وهي أحرى شاهد لها، كذلك نجوم القرآن بمواقعها، القلوب الواقعة هي فيها، الواعية لها، إنها تدل على ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ هنا، لا قسمٌ ضمّن فيها القسم^(٢) لا بمواقع النجوم كلها، وإنما بنجوم القرآن، ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾: عظيم في دلالته، عظيم في جلالته، عظيم في معناه، عظيم في هدايه.

إنه تصريح باللاقسم وتلويح بالقسم بمواقع نجوم القرآن، وما أحلاه تعبيراً، عن لماعة نجوم القرآن وبلاغتها، وكما يروى عن أفضل مواقعها: الرسول الأقدس ﷺ: «.. له نجوم وعلى نجومه نجوم..» فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليل المعرفة لمن عرف الصفة، فليُجلِ جالِ بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينجُ من عطب، ويتخلص من نشب، فإن التفكير حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور..»^(٣).

فمهما كان القسم بسائر النجوم عظيماً، لأنها دلالات ظاهرة، وشهادات على عظمة القدرة، وسعة الحكمة لمن يوقعها في مواقعها،

(١) الدر المشور ٦: ١٦١ أخرجه جماعة عن ابن عباس في قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ قال: القرآن ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ قال: القرآن، وفيه أخرج الفريابي بسند صحيح عن المنهال بن عمرو عنه قال قرأ عبد الله بن مسعود ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ قال: بمحكم القرآن فكان ينزل على النبي ﷺ نجوماً، وفيه مثله عن مجاهد، وعن ابن عباس في إخراج آخر في الآية قال: مستقر الكتاب أوله وآخره، أقول: إنه فسر الموقع بمعنى المستقر وهو قريب كما قلناه.

(٢) راجع ج ٣٠ - الفرقان وكذلك الآيات ٦٩: ٣٨ - ٤٣ و ٩٠: ١ و ٨٤: ١٦ و ٧٥: ١ - ٣ و ٧٠: ٤٠ - ٤١ - فإنها آيات سبع تحدثنا عن اللاقسم فيها.

(٣) اصول الكافي ج ٢ ص ٦٠٠ - الطبعة الجديدة عنه ﷺ...

فيهتدي بها راصدوها، ويندحر مسترقو السمع للملأ الأعلى، وهي إضافة إلى ذلك ظاهرة في أنفسها في طلوعها وغروبها وانفضاضها وانقضاضها، ولكنما حق العظمة وعظمة الحق في الدلالة على كرم القرآن، ليس إلا في نجوم القرآن، وقليل هؤلاء الذين يعلمون، وكثيرون يجهلون، أن القرآن نور ينير لنفسه، فلا يستنير بسواه، وحتى الرسول لرسالته لا يستدل بسواه، فهو نور لمن أرسل به، ونور لمن أرسل إليه، وعلى حدّ تعبير الموقع الثاني من مواقعه: علي عليه السلام: ونور لا تطفأ مصابيحها، وسراج لا يخبؤ توقده، وشعاع لا يظلم ضوءه، وفرقان لا يخمد برهانه، وتبيان لا تهدم أركانه.. فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغُدرانه، وأثافي الإسلام وبنياته، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المنتزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يفيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله ريباً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجاً لطرق الصلحاء، ودواءً ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وهدىً لمن ائتم به، وعذراً لمن انتحلته، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاج به، وحاملاً لمن حملة، ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجُنة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى»^(١).

إن القرآن قبل نزوله كان كوكباً لم يطلع بعدُ على المطالع غير الإلهية، وإنما كان في أم الكتاب لدى الله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾^(٢) عليّ عن الطلوع لأحد، وحكيم عن أن يطلع عليه أحد، وإنما بزغ نجماً: - كوكباً طالعاً - لأول مرة، إذ أشرق على قلب الرسول الأمين

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٩٣ ص ٢٠٢.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤.

في ليلة مباركة، ومن ثم بزغ نجوماً إذ تنزلت آياته المفصلات، مفسرات للنجم الأول، ثم انتقل منه ﷺ إلى حفاظ سره وخزنة علمه الأئمة المعصومين، ثم منه ومنهم إلى سائر المؤمنين كنجوم الشفاء والرحمة، وعلى الشياطين رجوم البلاء والنقمة، نجوم أربعة للقرآن الكريم! ﴿وَأِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ .

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ : كيف لا وهو من لدن رب كريم: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (١) متحولاً إلى رسول كريم: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٢) كريم في آياته، كريم في معطياته، غير ضنين ولا لئيم، فالكرم هو التوسع في المحاسن الكبيرة، فلا يُنقص عن كرمه، ولا يُمس من كرامته فإنه:

﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ :

ترى ما هو الكتاب المكنون، الكائن فيه القرآن الكريم، ليكونه عما يمس منه إلا المطهرون؟ وما هو المسّ ومن هم المطهرون؟ .

علّ ﴿كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ هو لوح محفوظ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٦٦﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٦٧﴾﴾ (٣) (٤)، وليس في كتاب ثابت عند الله غير لائح لأحد ولا عند رسول الله ﷺ لائحاً له وخلفاء المعصومين غير لائح للآخرين، أو لائحاً لجمع الأولين غير لائح للآخرين، إنما ﴿فِي لَوْحٍ﴾ : صفحة لائحة ظاهرة لمن يتمجد به من المكلفين، من الجنة والناس أجمعين وإلى يوم الدين، آياته لائحة، بيناته واضحة، ورغم أنه في لوح، وبمتناول الكل، فهو ﴿مَّحْفُوظٌ﴾ و﴿مَّكْنُونٌ﴾ عن لعبة اللاعبين، وتحريف المحرّفين، فكيفان القرآن أياً كان هو أنه في حفاظ الله وكنانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٥) .

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠ . (٢) سورة الحاقة، الآية: ٤٠ .

(٣) سورة البروج، الآيتان: ٢١، ٢٢ .

(٤) راجع تفسير الآية في ج ٣٠، والآية: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ [الْقِيَامَةُ: ١٦] ج ٢٩ .

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩ .

وترى أهو محفوظ كذلك عند من يقرأه عن ظهر الغيب غالباً أو عامداً، أو يكتبه كذلك وينشره بغية تحريفه؟.. كلا، إنما في ﴿كِنْدٍ مَّكُونٍ﴾ و«كتاب» هو الثابت فليس إلا الحق، فهو قرآن كريم في ثابت بإذن الله، مكنون بكنان الله، آخذاً من أم الكتاب، وإلى كتاب قلب الرسول ﷺ وقلوب ممثليه المعصومين، وكتب ألسنتهم، ثم وكتب صدور الحفاظ، فالغالط يرجع لما يظهر غلطه، والعامد يفضح إذ يرى خلاف ما يراه الحفاظ والمؤمنون، والكاتب غلطاً، جاهلاً أو عامداً، لا يبقى كتابه سنداً، فريثما ينشر يُدحر، وكما دحر المسلمون القرآن المحرّف الذي نشره الإسرائيليون، وكيف ينجح قرآن محرّف بين بلايين البلايين من القرائين طول العالم الإسلامي وعرضه، وخلال التفاسير وسواها، وفي صدور الحفاظ وسواهم، حتى ولا كلمة واحدة، أو حرف أو نقطة واحدة، وكما الواقع المجمع عليه من هذا القرآن طوال القرون الإسلامية خير شاهد إيجابي لذلك الكن والحفظ، وواقع الاندحار عن المجموعة الإسلامية لما قد يحاول دسه ونشره وبثه شاهد سلبي على غيره، فمهما سمي قرآناً فليس في كتاب، وإن سمي كتاباً فليس مكنوناً.

﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ فما هو «هـ»؟ وما هو المس؟ ومن هم المطهرون؟

الضمير الغائب «هـ» راجع إلى القرآن أياً كان من محاله ومدارجه: حين ينزل من عند الله، وإذ يصل إلى منزل القلب المحمدي، وحين يُسمع أو يُفهم أو يُمس خطه بلمس، أو ببصر، أم ماذا؟ فلا يمس في أي من هذه إلا المطهرون وكما يناسب هذه وهذه.

فقد حمله إذ نزل، المطهرون «المقربون»^(١): ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢١٠)

(١) الدر المثور ٦: ١٦٢ - أخرج ابن مردويه بسند رواه عن ابن عباس عن النبي ﷺ: =

وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴿١﴾ . وكما لا يحمل علمه صافياً دون كدر إلا المطهرون، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهم أهل بيت الرسالة المحمدية، فهم أولاء الذين يمسون حقائقه وينفذون أحكامه كاملة، يمسونه كما يحق دون أن يمسوا منه باطل.

ومن ثم لا يدركه بعدهم إلا المنورة قلوبهم، المطهرة نفوسهم، كل على قدره، وكما يعيه قلبه و«القلوب أوعية فخيرها أوعاها»، كما ولا يسمع إليه ولا يبصره إلا المطهرون في أسماعهم وأبصارهم، دون الملتهين بالأغاني الملهية، والصور المغرية، فهم لا يتلذذون من القرآن فلا يمسونه سمعاً ولا بصرأ، كما لا يتفهمونه معنى وبصيرة، ولا يتذوقونه واقعاً... وإلى هنا «لا» نافية تنفي واقع المس هكذا في مختلف المس، كل على حسبه.

ومن ثم تكون «لا» ناهية تنحو نحو النهي عن مسه، خطه ورسمه، إلا المطهرون عن الكفر، فلا يمسه كافر، اللهم من يحاول التطهر به، لا مسه أو المس منه، وإلا المطهرون عن أحداث وأخبار «فلا يمس القرآن إلا طاهر» ﴿٢﴾ .

ولا غريب من القرآن أن يجمع بين النفي والنهي في حرف واحد، أو

= ﴿إِنَّهُمْ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨]. قال: عند الله في صحف مطهرة لا يمسه إلا المطهرون المقربون.

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٠-٢١٢.

(٢) الدر المنثور ٦: ١٦٢ - أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: ... وأخرج ابن مردويه عن معاذ بن جبل مثله وعن ابن حزم الأنصاري عن أبيه عن جده عنه ﷺ مثله. وأخرج عبد الرزاق وابن أبي داود وابن المنذر عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه قال في كتاب النبي ﷺ لعمر بن حزم: (ولا تمس القرآن إلا على طهور). وفي الاستبصار بإسناده عن أبي الحسن عليه السلام قال: المصحف لا تمسه على غير طهر ولا جنباً ولا تمس خطه ولا تعلقه، إن الله تعالى يقول: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩].

أنها نافية تعني في موارد النهي مبالغة النهي^(١).

فالطهارة المشروطة في حلية مس القرآن خطأ، تعمُّ الطهارة عن الكفر وطهارة الحدثين، وضوءاً وغسلاً، والطهارة عن أية نجاسة في المحل الماسّ، دون اختصاص بالحدثية، خلافاً لبعض الفقهاء، وفاقاً لإطلاق المس والطهارة. تأمل.

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ مسّ النور والخير، ولا مسّ السوء والشر، فالمطهرون داخلون في مسّه، وغيرهم خارجون عن مسّه وعن المسّ من كرامته^(٢).

كيف وهو مكنون بكنان الله أينما كان!

﴿نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾...

إنه كتعليل لعدم مسّه إلا من المطهرين، فما نزل من رب العالمين كيف يحمله إلى رسله الشياطين؟ أم كيف يمسه إلا من طهرهم رب العالمين، أو كيف يجوز مسّه من غير المطهرين عن أدناس وأحداث وأخبار؟!

نكات وتنبهات:

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾ ترى هل من نكران لأحد أنه قرآن، حتى يقسم أو لا يقسم تلميحاً بالقسم ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾: مقروء!.

علّه لأن الناصر كان ينكر كونه مقروءاً له من ربّه، على سمعه وقلبه، إذ قالوا ﴿بَلْ أَفْتَرْتَهُ﴾^(٣): اختلقه من نفسه، ثم نسبه إلى ربه، فإنكاراً عليه يؤكد ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾ جواباً عن هكذا قيل.

(١) والإتيان بالخبر وقصد الإنشاء عادة جارية فيما يراد تأكيد الإنشاء، فلا يخبر بالنفي هنا فيما ينهى، يعني أنه من المنع لدرجة كأنه لا يقع أصلاً.

(٢) الاستثناء على الأول متصل إذ يمسونه، وعلى الثاني منفصل إذ لا يمسونه.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٥.

ومن قيل إنه قرآن قرأه عليه الشياطين، قرآن لئيم، فيرد عليه ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾^(١).

ومن قيل ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ ولكن دسّ فيه ومسّ منه الشياطين، فأصبح محرّفاً كما فعلوا بالكتب من قبل، فيرد بقوله: ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

ثم على ضوء ﴿كَرِيمٌ﴾ إنه كريم كما الله كريم، لأنه أنعم نعم الله وأدومه. ومن كرمه عدم هوانه بكثرة التلاوة والمراجعة، بل هو دائماً غضّ طريّ، لا تزيد كثرة تلاوته إلا طلاوة وطراوة، خلاف سائر الكلام أياً كان، فإنه لا يحلو على التكرار والترداد، وقد يرجع مرّاً إذا استمر، بخلاف القرآن الكريم: طاهر الأصل، ظاهر الفضل، لفظه فصيح ومعناه صحيح «ظاهره أنيق وباطنه عميق، له تخوم وعلى تخومه تخوم»^(٢).

وترى والقرآن هو الكتاب كيف يكون في كتاب، فما هو كتاب وكتاب؟

الجواب: إن الكتاب المكنون هو المكتوب فيه الكتاب، والقرآن الكتاب هو المكتوب، ففرق بين مكتوب ومكتوب فيه، وسواء أكان المكتوب القرآن المسجل بقلم النور على البيت المعمور: القلب المحمدي أم ماذا، أو كان القرآن المفصل بألفاظه أو معانيه أم ماذا، وإذا كان المكتوب فيه مكنوناً فالمكتوب أكنّ وأمن.

ثم «المطهرون» يعمّ من طهّروا أنفسهم ونفوسهم فطهّهم الله تطهيراً، كمن تشملهم آية التطهير.

ومن طهّروا نفوسهم فأيدهم الله فيما طهّروا، كمن يحذون حذوهم ويتلون تلوهم من الأولياء المكرمين.

ومن تطهّروا - أخيراً - عن الأحداث والأخبار، فلو قال «إلا

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٠.

(٢) أصول الكافي ج ٢ ص ٥٩٨ عن النبي ﷺ.

المتطهرون» لم يشمل إلا الآخرين، وأما «المطهرون» فهو يشمل الأولين والآخرين، لأن الطهارة فيها تعم الثلاث^(١).

ثم ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾: يخص القرآن المفصل النازل نجوماً، بعد المحكم النازل ليلة القدر^(٢) مما يدل على عدم اختصاص الكتاب المكنون بالقرآن المحكم، بعد نزوله، عند النبي، أو قبله عند الله، أنه مكنون عند الله وعند نبي الله فقط لا! بل هو محفوظ أينما حلّ وارتحل، وإلى القرآن المفصل، عند النبي وعند المؤمنين وإلى يوم الدين^(٣).

وبما أن مسّ القرآن باللسان من أخفى المسّ وأخفه، فالنهي عن هكذا مسّ للمحدث، ألا يقرأه على حدث، منع خفي ينحو منحى الكراهة، وهو إحياء لطيف استوحاه المطهرون المعصومون كما هو دأبهم في فقه القرآن. والكراهة هنا هي قلة الثواب، تحريضاً على التطهر بالقراءة، ليدرك كامل الثواب.



ومن ثم، وبعد ذلك كله في نجوم القرآن، أفستقبلون رجومه؟

﴿أَفِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾:

﴿أَفِهَذَا الْحَدِيثِ﴾: حديث الله وآياته «تدهنون»: تتهاونون ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ

اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٤) ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾^(٥) ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا

الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦).

(١) التطهير الإلهي، والتطهير البشري، وما بينهما من تطهير إلهي وبشري.

(٢) لأن التنزيل هو النزول التدريجي بخلاف الإنزال فإنه دفعي.

(٣) راجع سورة القدر ج ٣ من الفرقان.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٧.

(٥) سورة الجاثية، الآية: ٦.

(٦) سورة القلم، الآية: ٤٤.

ورغم أن حديث القرآن رزق رزقتموه ﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ منه ﴿أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ﴾: تديلاً بنعمة الله نقمة وكفراً: ﴿وَمَنْ يُدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١) أتهرباً من نعمة الله وحرماً مع الله.

إنكم لا تدهنون بالكفر والفسق وأي باطل، ثم تدهنون بحديث الله وآياته التي هي رزقكم في المثل العليا، فأف لكم كيف تحكمون!.

أفتكذبون الله أنه يقدر الموت، وليس بمسبوق فيه، ولا في أن يبدلكم أمثالكم وينشئكم فيما لا تعلمون فيدينكم بما كنتم تعملون، فلولا تدرؤون عن أنفسكم الموت أو ترجعون الأرواح إذا بلغت الحلقوم:

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصِيرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾:

هل إن الله أقرب إلى المحتضر أم أنتم؟ انه ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ بل ومنه أيضاً: قيوماً بحیطة العلم والقدرة ﴿وَلَكِنْ لَا بُصِيرُونَ﴾: لا رؤية البصر: أنتم ولا أي محتضر، فإن هذا القرب ليس من المبصر، ولا رؤية البصيرة اليقين إلا من المحتضر، آمن أو كفر، إذ يجد نفسه بين يدي من هو أقدر منه وأقرب إليه منه، وأما أنتم الناكرون، الناظرون إلى المحتضر فلا تبصرون لا بالبصيرة ولا بالبصر، فهلاً تذكرون من المحتضر أنه على نفسه ليس أقدر من الله وسوف يأتي دوركم على سواء.

وإذ ليس الله أقرب إليه منكم، وأنتم أقرب إليه، وتحبون حشره ورجعه!
﴿فَلَوْلَا . . . تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في نكران الدينونة الحساب؟

﴿فَلَوْلَا . . . تَرْجِعُونَهَا﴾ الروح ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾: ﴿إِذَا

بَلَّغَتِ التَّرَاقِي (٢١) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ . . . ﴿١﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٢﴾ إِلَى الْمُحْتَضِرِّ
يستغيث بلسان القال أو الحال، وهو ممن يخصصكم، أو ينفعكم رجعه إلى
الحياة لتجربوا أنكم أنتم السابقون لو تزعمون ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: غير
محمولين على مكروه موتاً أو سواه، أو كنتم غير عباد عاجزين، أو غير
مجزيين بأعمالكم ﴿٢﴾ ﴿فَلَوْلَا . . . تَرَجُّعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في هذه الدعاوي
الزور، وفي عدم دينونة الحساب، فمن يدين بأنه مدين لا يدعي سبقه على
رب العالمين في تقدير الموت، فلا يفكر ولا يحاول في رجوع أياً كان، ولكن
الذي لا يدين بأنه مدين، لأنه ناكِر سبق الله في الحياة والموت وفي تبديل
الأمثال بعد الموت، فليدرأ الموت وكل سوء عن نفسه وعمن يخصصه:

﴿فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٣﴾ ﴿فَلَوْلَا . . . تَرَجُّعُونَهَا
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؟

فالله هو السابق في الموت وفي الحياة، في المبدأ والمعاد، وعدله
يفرض المعاد الحساب، والجزاء الوفاق.

أضواء في طيات هذه الآيات:

١ - ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾: في هذه اللحظة الحاسمة الجاسمة، إذ
تولى الروح وراءها الدنيا وتستقبل الأخرى دون أن تملك من أمرهما شيئاً
إلا ما قدمت من صالحات وأخرت، وقد انفصلت عمّن حولها وما حولها
من مالها ومالها!

٢ - بلوغ الروح التراقي والحلقوم دليل قاطع لا مرد له على عدم

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) المفردات للراغب، يذكر هذه المعاني الثلاثة للمدين.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

تجردها عن مادة مّا، فالمجرد عنها ليس له مكان لا خارج البدن ولا داخله، فأين الروح المجردة في البدن حتي تبلغ الحلقوم ثم تخرج؟

٣ - يبتدىء خروج الروح من الرجل إلى الحلقوم ومن ثم تخرج، وليس كما يزعم أنها تخرج من المخرج، وإلا لم يكن بلوغها الحلقوم حالة للاحتضار.

٤ - إن الله أقرب إلى المحتضر ممن سواه، وأقرب إليه من نفسه ﴿وَحَنُّنٌ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١) واقع معقول وملمس، وفي حياتنا اليومية، فهو أقرب إلى الكائن - أيأ كان - من نفسه: كيأناً وكوناً وقدرة وعلماً وعزماً وتصميماً ف ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾^(٢) ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٣) فإن كنت أنت أقرب إلى نفسك، أو غير الله أيأ كان فلماذا تغلبون في مصالحتهم ولا تغلبون، كلا! ﴿وَلَكِنْ لَا بُصُورُونَ﴾ رغم البصائر المتكررة المبصرة لكم فأني تصرفون!

٥ - فالرجع كالبدء بيد الله، يقدر كيف يشاء ويميت ويحيي ثم إليه تُقَلَّبُونَ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا...﴾^(٤).

حين تقف قدرة الإنسان - أو أيأ كان - وكل محاولاته، يقف علمه وينتهي دوره المختار، فتنفرد القدرة الإلهية وعلمه وأمره ويخلص الأمر كله لله وهناك يخسر المبطلون ﴿فَلَوْلَا... تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾:

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^(٨٨) ﴿فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ﴾^(٨٩) ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾^(٩٠) ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾^(٩١) ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْفِرِينَ﴾^(٩٢) ﴿فَتُزَلُّ مِنْ حَمِيمٍ﴾^(٩٣) ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾^(٩٤) :

(١) سورة ق، الآية: ١٦.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

جولة ثانية تختصر الأولى، وتزيد عليها في الجزاء بين الموت والمعاد، فالأولى تستعرض الجزاء منذ القيامة الكبرى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . . . فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾. وهذه تستعرضها منذ الاحتضار والموت وإلى القيامة، ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾.

في هذه الجولة نرى المقربين في مثلث الرحمة، علَّه الروح والريحان للبرزخ، وطبعاً جنة نعيم وهي الخلد للآخرة^(١)، كما وإن المكذبين الضالين في مثني: ﴿فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ﴾ علَّها للبرزخ، و﴿وَنَصَّلِيَهُ جَحِيمٍ﴾ وليست إلا للآخرة^(٢) ومن ثم لأصحاب اليمين وهم الأمة الوسطى بينهما، واحد يعم سلام الإكرام والإنعام، منذ الموت إلى يوم القيام.

وترى ما هما الروح والريحان؟ إن الرُّوحَ والرُّوحَ من أصل واحد، ثم اختص الثاني بالنفس، والأول بالنفس المتنفس، وهما ما به الحياة، حياة الأصل للرُّوح، وحياة النزهة للرُّوح، فالمقربون يتنفسون بالموت عن خنق ما كانوا وحنقه، ثم يزيدهم رُوحاً ورُوحاً وريحاناً، وعلَّه الرُّوح هنا رحمة نفسانية روحانية، ونسمة من جنة الرضوان، ونفحة من معرفة الرحمن، ويا لها بوحدتها من روح وريحان، ثم الريحان عطرٌ يعطر المشام، ويذهب بعفونة الأيام.

ثم وما هو ﴿فَسَلَّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾؟ علَّه يوحي بحالة مرضية لهم تُطمئن النبي ﷺ بسلام له منهم وسلوان، فلا يضطرب بما قد اقترفوه من آثام، فقد حولهم الله من لا سلام إلى سلام، إذ كفر عنهم سيئاتهم وأدخلهم

(١) أمالي الصدوق بإسناده إلى موسى بن جعفر عن أبيه الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في حديث: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ يعني في قبره ﴿وَجَنَّتٌ رَّعِيْدٌ﴾ يعني في الآخرة.

(٢) أصول الكافي وأمالي الصدوق بهذا الإسناد ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ (٩٣)﴾ يعني في القبر ﴿وَنَصَّلِيَهُ جَحِيمٍ﴾ يعني في الآخرة.

مدخلاً كريماً، وبدل سيئاتهم حسنات فأصبحوا في سلام وسلوان، في رحمة وغفران، فمنهم لك سلام، عطاء من ربك وإنعام: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾.

وترى لماذا (سلام) وليس (السلام)؟ قد يكون تنكير السلام له منهم لإثبات أصل السلام، دون أن يناحره شيء من اللاسلام للأدنين من أصحاب اليمين، الذين قد يذوقوه في فترة البرزخ، ولو زاد ففي بداية القيامة، أم لو زاد فمصيرهم الأخير الجنة مهما ابتلوا هنا وهناك، إذاً فحالهم مرضية للرسول الشفيح الأمين، وبشفاعته وذويه يخرج غير المخلدين عن الجحيم، وهم أدنى أصحاب اليمين.

ثم الرعيل الأعلى منهم لهم السلام كل السلام دون عذاب ولا بلاء، ثم المتوسطون بين الأولين والآخرين لهم وسط من السلام ﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ مهما اعتراهم من غير سلام.

كما وأن روح المقربين وريحانهم وجنتهم النعيم درجات حسب الدرجات، فلأفضل المقربين الرسول محمد ﷺ فضله على سواه، لحدّ يحتاجه في الزلفى من سواه.

كما وأن للمكذبين الضالين دركات في نُزُل من حميم وتصلية جحيم «حتى انصرف المشيع ورجع المتفجع، اقعد في حفرتة نجياً لبهته السؤال وعشرة الامتحان، وأعظم ما هنالك بليّة نزول الجحيم وفورات السعير وسورات الزفير، ولا دعة مزيحة، ولا قوة حازجة، ولا موتة ناجزة، ولا سنة مسلية بين أطوار الموتات وعذاب الساعات»^(١).

ثم وتصلية جحيم هي إيقادها بوقود أجسادهم وأرواحهم الجهنمية:

(١) نهج البلاغة للسيد الرضي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: ...

﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾^(١) فسائر أهل النار وهم هوامش الضلالة يحرقون بنارهم كما احترقوا يوم الدنيا، ثم ومنهم من ينجو مع الناجين فيلحق بأصحاب اليمين، ومنهم.. ثم لا يبقى في النار إلا الوقود حتى يتم جزاءهم الوفاق، ثم تخدم النار ويموت الوقود، المؤبدون ثم لا يحيون.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُو حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾:

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾^(٢) لا علم اليقين فقط ولا عين اليقين، وإنما حق اليقين، الذي ليس فوقه يقين، و﴿هَذَا﴾ هو الله، وهو كتاب الله، وهو يوم الله، لا ريب في أي من هذا وذاك، فالمقربون لهم في ذلك حق اليقين، وأصحاب اليمين لهم عين اليقين أو علم اليقين، ثم للمكذبين الضالين عين اليقين إذ يدخلون الجحيم ﴿ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾^(٣) وكان لهم أن يرونها قبل يوم الدين: علم اليقين أو عين اليقين أو حق اليقين.

ومهما يتعرض علم اليقين وهو اليقين العلم، للخطأ أو الإهمال في متطلبات اليقين، أو تخطأ عين اليقين أو تهمل مهما كان أقل خطأ وإهمالاً من علم اليقين، فليس حق اليقين وهو اليقين الحق، الثابت الصامد، مما يخطئ أو يهمل، لأنه واضح وضح النار وأوضح.



(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠.

(٢) سورة الحاقة، الآيتان: ٥١، ٥٢.

(٣) سورة التكاثر، الآية: ٧.

الفهرس

تتمة سورة الحجرات

٧ سورة الحجرات، الآيات: ١١ - ١٨

سورة ق

٣٣ سورة ق، الآيات: ١ - ١٤

٤٦ سورة ق، الآيات: ١٥ - ٣٨

٦٩ سورة ق، الآيات: ٣٩ - ٤٥

سورة الذاريات

٧٧ سورة الذاريات، الآيات: ١ - ٢٣

١٠٠ سورة الذاريات، الآيات: ٢٤ - ٣٧

١١٠ سورة الذاريات، الآيات: ٣٨ - ٦٠

سورة الطور

١٣٣ سورة الطور، الآيات: ١ - ٢٨

١٥٤ سورة الطور، الآيات: ٢٩ - ٤٩

سورة النجم

١٧٣ سورة النجم، الآيات: ١ - ٣٠

٢٠٢ أسئلة مطروحة حول



- ٢٠٧ مشكلة الحرارة
- ٢٠٨ مشكلة الجاذبية
- ٢١٥ خلاصة عن الرحلة المعراجية
- ٢١٦ القرآن وتسخير الفضاء
- ٢٢٠ كلام في العلم والظن
- ٢٢٧ سورة النجم، الآيات: ٣١ - ٦٢
- ٢٤٢ حوار حول آيتي الوزر والسعي
- ٢٤٥ جولة أخرى في آيتي الوزر والسعي

سورة القمر

- ٢٦١ سورة القمر، الآيات: ١ - ٨
- ٢٧٤ سورة القمر، الآيات: ٩ - ٥٥

سورة الرحمن

- ٣٠٥ سورة الرحمن، الآيات: ١ - ٣٢
- ٣٣٩ سورة الرحمن، الآيات: ٣٣ - ٧٨

سورة الواقعة

- ٣٥٧ سورة الواقعة، الآيات: ١ - ٥٦
- ٣٨٢ سورة الواقعة، الآيات: ٥٧ - ٩٦
- ٣٩١ نبذة عن تبديل الأمثال كما يخطر ببال
- ٤٠٦ نكات وتنبهات
- ٤١٠ أضواء في طبائ هذه الآيات

